صامتين أمام المجد والفخار والجلال الذي يحف هذا الضريح ثم ينصرفون بكل احترام وخشوع وقلوبهم تفيض باجل الذكرى والاحترام

متفرقات

فن الالقاء

فن الالقاء فن جليل عني به الغربيون واهمله الشرقيون جهلا بجزيل فائدته ولو علموا انه يمنح القول تأثيرا عظيما ويأسر النفوس ويتملك القلوب ويفعل مالا يفعله السحر فيثير العواطف الهاجعة ويهيج العزائم الخامدة ويلين القلوب الجامدة لما طرحوه وراء ظهورهم واهملوه في زوايا النسيان . كم من محام جمع في دفاعه بين بليغ القول ودافع الحجج ومفحم البراهين ولكن خانه الالقاء فخذر حواس القضاة بالقائه ذي النغمة الواحدة حتى خسر دعواه

وكم من ممثل اسأم الحضور بالقائه وجلب اليهم النعاس وارفضوا قبل انتهاء التمثيل. نسمع اغلب خطباء الساجد يلقون خطب فقيد الوعظ والارشاد والالقاء وهي كما علمنا ارقى وابلغ ما سمعناه فوق المنابر ولكننا نرى نصف المصلين نياما والباقين يتثاءبون مع ان الفقيد كان يبكي العامة قبل الخاصة بما أوتي من حسن الالقاء وفصاحة اللسان وبلاغة الانشاء . وقصارى القول اننا لا يتسني لنا ان نجيد الالقاء دون الشروط الآتية :

١ — حسن النطق ولا سبيل اليه الا بدراسة علم تجويد القرآن اذ به تعرف مخارج الاصوات ومقادير الحروف والمد والقصر والادغام والاظهار الشفوي والاحوال التي ترقق او تفخم فيها الحروف وغير ذلك . ولا بد من الاستعانة بقاري، ماهر من قراء القرآن الذين اتقنوا دراسة التجويد

٢ — اتقان اللغة العربية حتى يفهم القاريء ما يلقيه ويتأثر من المعاني ليشرك معه شعوره وعواطفه وقت الالقاء.

٣ — معرفة فن الموسيقى او على الاقل تعويد الاذن على فهم الموسيقي ليكون قادرا على تنويع نغمات الالقاء حسب مقتضيات الحالات النفسية

٤ — الاشارات والوقفة وتغيير السحنة وهي من ضروريات الالقاء التمثيلي اذ هي التي تساعد على تمثيل العواطف ولولاها لاصبح الممثل كتمثال من نحاس تمجه النواظر وتنفر منه النفوس

٥ — رقة الشعور وتعد من اعظم العوامل في اتقان الالقاء ليكون الانسان متأثرا مما يلقيه فتتغير النغمات بدون تكلف وتتنوع اشاراته وسحنته من حيث لايدرى ويصدر منه الالقاء والاشارات وحركات السحنة بشكل طبيعي صادق خال من التصنع وبذلك يكون اشد تأثيراً واعظم وقعا

٦ — يحسن لمن اراد ان يبلغ غاية عظيمة في الالقاء لا سيما التمثيلي ان يضرب بسهم وافر في علم البسيكولوجيا ليدرس احوال النفس دراسة تؤهله لفهم عواطفها وشعورها ليستطيع أن يزيد القاءه وضوحاً وتعبيره تأثيراً

وان أنعمنا النظر فى هذه الشروط وجدنا الثالث الزمها وأعظمها نفعاً وأصعبها نيلا لان معظم التأثير ناشيء من نغمات الالقاء ولا ريب ان الموسيقى قوة عظيمة فتانة ساحرة بل هي فن يعبر به الانسان عن وجدانه وشعوره بانغام أفصح من النطق وأبلغ من البيان وأقرب منهما تناولا للاذهان. ولا يكفي لطالب الالقاء أن يدرس (السولفيج) وحده بل يلزمه ان يتعلم التعبير الموسيقي وكيف يعبر الموسيقي

وحينما يتم له ذلك نقول له لقد اتممت دراستك الفنية فهيا الى الدراسة العملية واذهب الى باريس فى ايام عطلتك الصيفية وواظب على مشاهدة مسارح الكوميدى فرنسيز والاوديون وبورت سان مارتان واجلس في الصف الاول لتراقب مشاهير الممثلين والممثلات لتتعلم منهم الوقوف والجلوس والمشي والاشارات وتنويع السحنة وطريقة الالقاء وانواع النغمات في الفرح والحزن والغضب والحماسة والعطف والتأثر والحيرة والدهش والخوف وعظمة الملك وغير ذلك وان للخطيب صفات دقيقة تفوت أغلب الناس ولها مكانة عظيمة وعليها معول كبير في التأثير :

١ — ان يهيمن على نفوس سامعيه ويتملك قيادها وذلك بنباهته وشدة اصغائه ولطفه وظرفه واسلوبه

٢ — ان يتجنب كل عاطفة كبر وغرور وازدراء فان ذلك ينفر منه القلوب ويصرفها عنه وتزدريه

٣ — أن يرتب الموضوع ليسهل فهمه ورقة الاسلوب وصوغه بشكل ادبي لان الموضوعات حينما تكون علمية محضة عارية عن ثوب الادب تسئم وتمل وتمجها النفوس لاسيما اذا كان الموضوع طويلا جافاً

تلك نصائح نافعة صغتها في كلمات قلائل ليسهل تنارلها وعسى أن تهتم ناشئتنا بهذا الفن لترقيه فى بلادنا وتنتشله من وهدة الانحطاط والسلام

الاسد

من أعظم الضوارى المعزوة الى فصيلة الهر وأشدها بأساً الاسد « ملك الحيوان » قامة عظيمة ونظر متوقد ومظهر نبيل واختيال في المشية واعضاء في غاية التناسب ولبد يحيط برأسه ورقبته احاطة الاطار الجميل بالصورة المتقنة يسترسل على كتفيه كطيالسة الملوك وزئير يقصف كالرعد ويدوى لأبعد فج فيرتعد منه العالم الحيواني

تجمعت في الضغيم هذه الصفات لتؤهله لان يكون المسيطر الفرد . كله اعصاب وعضلات اكسبته قوة لاتثبت امامها اعظم القوى وجرأة لاتهاب الاخطار والمهالك عند الهجوم . وقصارى القول انه اقوى واشرف جميع السباع

لا حاجة لنا بوصفه اذ ما من احد الا رآه في حدائق الحيوانات ومسارح الوحوش غير اننا نلاحظ انه اعظم حيوان يمثل القسم الغير المخطط من الفصيلة ويمتاز بلون ثوبه المتحد ولبده المتكاثف الذي لايشاهد فى اللبؤة وخصلة الشعر السوداء التي تزين نهاية ذنبه . وهو يفوق جميع أنواع الفصيلة قامة وجمالا

مواطنه المنطقة الحارة وكان في العصور الخالية موجوداً في جنوبى اوروبا كما روي (هيرودوت) حيث كانت هذه الضوارى القديرة تهبط من جبال مقدونيه لتفترس مطايا (خشايرشاه) ثم صارت نادرة في مقدونيه فى عصر الاسكندر الاكبر الى ان انقرضت من أوروبا فى عهد الرومان . وكانت الاسود كثيرة الانتشار بآسيا ولكنها اصبحت الآن لاتوجد الا في جزيرة مابين النهرين والشواطىء الشمالية لخليج العجم والشمال الغربي للهند

يمتاز الاسد الاسيوي عن الافريقي بقامته الربعة وغزارة خصلة شعر الذنب واصبحت أفريقية الآن وطن الاسد الحقيقي وهناك يشاهد بجميع مظاهر جماله وعظمته وهو شائع في هذه القارة الا في بعض مواضع قليلة انقرض منها .وقد لوحظ انه يختلف لونا وقامة حسب المواطن ولكن جميع انواعه في الطباع سواء

يسود الفزع والجنون بين الحيوانات حينما يرتج الهواء من زئيره اذ كل منها يعرف هذا الخصم المزعج القاهر الذي لايستطيع اشدها بطشاً ان يثبت امامه . ولا يؤمن شره بسور ارتفاعه ثلاثة أمتار لانه يجتازه بكل سهولة وهو مقل فريسته ويجتاز مايبلغ أربعة أمتار ان كان لايحمل شيئاً ولكنه لايستطيع أن يتسلق الاشجار كالنمر

يقتات عادة بالحيوانات المجترة ولايأكل الا الحي منها فلا يرجع الى ما بقي منه بالامس الا اضطراراً ويستطيع ان يصبر على الطعام يومين او ثلاثة عقب اكلة تملأ بطنه وفصيلة (الانتيلوب) (نوع من الغزلان) لاترى عدواً لها الد منه اذ يختبىء في مقصبة ليغتال القطعان التي ترد الغدران او البحيرات وقت ظهور الشفق. ساد السكون في هاته الاماكن وسكنت الريح فلم تحرك قمم أشجار الجميز ولبث جريد النخل دون حراك فلم يشب هذا السكون والدعة أية جلبة لاقريبة ولا قصية . فتأتي هذه الانعام الجميلة أولاد الصحراء ماشية بتؤدة وتبصر وتيقظ منتصبة آذانها شديدة الاصغاء مشرئبة اعناقها مسرحة انظارها الحادة في كثيف المقصبة . خلا المكان من كل مايرهب جانبه او يسمع له همس او لمس بين الحمائل فاطمأنت النعم وأمالت رؤوسها

متهافتة الى ماء منعش كانت تتلهف عليه وقتاً طويلا وعلى حين غفلة يثب هـذا القسورة القهار بطفرة هائلة ويخرج من مكمنه وينقض كالصاعقة على زعيم القطيع فيبرزح المسكين تحته حتي يسوي به الارض بينما يهرب رفاقه مستنفرة بامرع من الفكر لتختفي في أعماق البيداء.

وقد مجد اشهر الشعراء سلطان الحيوان في جميع العصور والازمان ومهما تغالوا في وصفه أو في جميع التواريخ التى وضعت له فانها لاتقل عن أن تكون حقيقة وتكاد توفيه حقه من الوصف ومهما نفح الكتاب بمدهشات البيان واسعد المصورون بعجائب بنات البنان فانهم لايستطيعون أن يمثلوه تمام التمثيل وليست خيلاء الرئبال أو شجاعته النبيلة اللتان أذاعتهما بخطأ وركاكة الاساطير القديمة هما اللتان اكسبتاه وقاره المهيب وعظمته الهادئة بل مخائله التى تشف عن ثقته بقوته التى لاتغلب واعتماده على نفسه واعتياده على الظفر والنصر

ولو أن طباع النفاق عند الاسد لا تزيد عن طباع غيره من أنواع فصيلته فان خصال هذه العامة توجد فيه . اذ يزحف على بطنه بخبث الى أن يتمكن من خصمه الذي يتوسم فيه الضر والاذى ويقيس بتبصر طول الوثبة فلا تفلت منه غنيمته ومن ذلك يعلم أنه لاتمتاز طباعه عن غيره من أنواع فصيلته

انه لايقتل لمجرد الهويل بل لرد غائلة السغب ويندر أن يثب على فريسته مرة ثانية أن اخطأها في الاولى وان شبع مر مر الكرام أمام الانعام السائمة دون ان يلتفت اليها واضطجع فى عرينه ونام . والضفدع ان فوجىء وهو نائم يكون كالميت ويغتنم مواطنوه هذه الفرصة ويباغتونه في حالة ضعفه ويقتلونه باسلحتهم النارية أو سهامهم المسمومة

تنتشر بين الذكور معارك تشيب من هولها الولدان وحينما يتزاحم اثنان على انثى فتية لم تألف بعد مع اسد .وقد روى احد اعراب البادية لصائد من اهل الجزائر واقعة من هذا القبيل حضرها مكرهاً . كان كامناً في ليلة مقمرة يترصد الايل وليكون آمناً مطمئناً تسلق شجرة بلوط في مكان خال من النبت والشجر وسط

الغاب في مقربة من الدرب . وفي منتصف الليل لمح لبؤة مقبلة يتبعها أسد فتي تكامل لبده فتركت الانثى الدرب واضطجعت تحت شجرة البلوط ولبث وحده الاسد بجانب الطريق مصغياً . وماهي إلا هنيهة حتى دوى على بعد في الآفاق زئير فاجابته اللبؤة واشترك معها الذكر الذي اصطحبها فزمجر صوته كالرعد القاصف فهلع فؤاد صائدنا المتربص فوق الشجرة وسقطت بندقيته من يده وكاد يهوي معها لولا أن تداركه وأمسك بالاغصان . وكان زئير الاسد القصي يقترب شيئاً فشيئاً وكلما زاد قابلته بالمثل اللبؤة الجاثمة بيننا رفيقها بجرى روحة وجيئة من الحنق كأنه يريد أن يقول له : — «فليقبل ليرى كيف التقيه» وبعد ساعة أتى أسد أسود قامت لملاقاته اللبؤة فمنعها رفيقها وطردها ثم انقض على خصمه الذي كان ينتظره بفروغ صبر وطفقا يتصادمان ويقعان ملتحمين وطال بينهما النزال وكان مزعجاً للصائد المشاهد رغماً منه بيننا العظام تهشم تحت الفكاك القوية والبراثن تمزق جسميهما والزئير يكون تارة مختنقاً وأخرى قاصفاً معبراً عن كلب الوحشين وآلامهما . وكانت اللبؤة عند ابتداء المعركة تنظر اليهما وهي جاثمة على بطنها فلما حمى وطيس القتال أخذها الزهو والاعجاب اذ رأت خصمين جبارين يقتتلان لاجلها وأنشأت تترجم عما خالجها بتحريك ذنبها . ولما انتهت الوغي وخر الاثنان صريعين هرولت الى الجثتين تشمهما ثم ذهبت لشأنها معجبة بنفسها دون أن تلوي على شيء

وللاسد خصلة حميدة وهي انه لايهجر أبداً اليفته التي اختارها ويظهر لها كثيراً من الميل والاعتناء وله عناية عظيمة بجرائه ولو انه صعب المراس شديد الجانب لايوجد مع صغاره الا بتكلف اذ يعروه السأم ويتنغص من لعبها معه

وحينما يريد أهل البدو من المغاربة صيد الاشبال يترقبون الزمن الذي تنقطع فيه عن ملازمة الام وذلك يكون بعد ابتداء ظهور أسنانها بثلاثة اشهر . فيرصدون العرين من أكمة بعيدة أو شجرة مشرفة عليه وربما تحينوا الفرص أياماً كاملة . وحينما يرون ان اللبؤة بارحت أشبالها وان الاسد غائب ينزلون من مكامنهم بكل تبصر ويقظة ويلفون الاشبال ببرانسهم لئلا تتمكن من الزئير ويناولونها الى الفرسان

الذين ينتظرونهم فى أطراف الغاب المجاور ثم يرخون أعنة جيادهم فتسبق الريح . وهذه الجرأة لاتخلو من المخاطر

لايتم نمو الاسد الا فى سنته الثامنة فيبلغ أشده ويكمل لبده . ولم تحقق بعد بالضبط نهاية عمره ولكن علماء الحيوان يقدرونها من ٣٠ الى ٣٥ عاماً . ويشاهد في الجزائر ثلاثة أنواع من الآساد . الاسود والمائل للون صدأ الحديد والاسمر . والاسود اندرها وأصغر قليلا في القامة ولكنه ربعة وأعرض من الآخرين ولونه أسمر داكن الى الكتفين ثم يبتدىء لبده الاسود الفاحم الذي يكسبه شكلا مريعاً ويبلغ عرض جبهته ذراعاً وطوله من أرنبة أنفه متران وثلث ويزن جسمه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ رطل . والمغاربة تهاب هذا النوع أكثر من غيره لانه لا يتنقل ولا يجول كالنوعين الآخرين بل يبحث له عن مكان لائق أمين يعيش فيه رخي البال نحو ثلاثين سنة فلا يجازف بنفسه في السهول الا نادراً ولا يهجم على الدور كغيره بل يتربص ليلا بالثيران النازلة من الجبل وينحر منها أربعة أو خمسة ليرتشف دماءها

وفي الصيف لايبارح مأواه الا عند الغروب ثم يقف بالمرصاد على قارعة طريق آتية من الجبل ينتظر الشاة والركبان المتأخرين وهم مقبلون وحداناً . وقد باغت سبع اسود فارساً من أهل البدو وحينما هجم عليه فكر أن يترك له جواده فلربما لها به فتحقق أمله ونجا وهذا أمر نادر جداً لان المسافر المنفرد لايتمكن من الفرار أو النجاة ان فاجأه ليلا وهو منقطع عن الركب . ولو أن النوعين الآخرين أعظم جسماً لكنهما أقل قوة من الاسود وطباعها ومعيشتها واحدة الا من ما استثنياه

لاينهض الاسد عادة من مربضه الا بعد الغروب ويروح اليه قبل الشروق فلا يفارقه سحابة النهار الا نادراً طلباً للماء او هرباً من البعوض او القيظ لانه يقضي النهار في عرينه نائماً مستريحاً فى الغابات ليهضم مطمئناً في الدعة والسكون ويتغلب عليه حينئذ الكسل والخدر فلا يلتفت الى الانسان وقتئذ ان صادفه ولكنه يكون بالعكس ليلا ويشاهد بجميع مظاهر قوته وافتراسه ورغبته في الهجوم . فان صادفه مدلج منفرد هلك وأعيته الحيل

وحينما يوجد الاسد مع اليفته تزأر هي أولا عند مبارحتها العرين ويشمل الزئير اثني عشر صوتاً تقريباً مختلفة تتبدىء بنوع خافت أشبه بالتنهد ثم يزيد شيئاً فشيئاً حتى ينتهي كما ابتدأ وبين الصوت والآخر بضع ثوان ويجاوبها الاسد بالتبادل وان ارادا الهجوم على دار لافتراس انعامها يزأران من ربع ساعة لآخر حتى يصلا اليه وحينما يشبعان يستمران في الزئير لغاية الصباح . ووقتما يكون الاسد منفرداً يزأر عند مايستعد للخروج ويأتي في الغالب صامتاً الى المنازل

والآساد تفتك فتكاً ذريعاً في جميع الاقطار التي تسكنها فلا تدع الانسان ولا الحيوان وتعد ضحاياها بالمئات ، من قرية اعيتها الحيل فهاجر اهلوها وتركوها قاعا صفصفاً تزار فيها الضباغم . وقد تعطلت سكة (اوغاندا) الحديدية بسبب افتراس الاسد للعملة الهنود وتركوا اشغالهم حينما رأوا انه ما من ليلة الا يذهب عدد منهم طعاما للسباع . وقد تمكن اخيراً احد مهندسيهم المسمى (باتيرسون) من صيد اسدين بعد مابلت ضحاياهما ثمانية وعشرين من الهنود وعدداً عظيما مجهولا من الزنوج

ولنسرد اشهر الوقائع التي كتبها المشاهير من الرحالين والصيادين وما قاسوه من الاهوال في صيد الاسود لتكون مثالا عظيما ندرس به جيداً طباعها واحوالها وقت الصيد والمهاجمة ولنستدل على صعوبة مراسها وجرأتها

رحلة لفنجستون

في أثناء طوافي في حول غدير (كورمان) انتخبت وادي (مابوتسا) الجميل لاتخذه مقراً للبعثة . وقد وقع لي هناك حادث عظيم كان الناس يسألونني عنه في أغلب الاحيان منذ عودتي الى انجلترا ولولا مضايقة الاصدقاء والحاحهم لكنت ادخرته لاقصه على اولادي عند ماتذهب الشيخوخة بذكائي وحدته

ضج اهل هذا البلد حينما رأوا أن الاسود تباغتهم كل ليلة وتسطو على مطاياهم وابقارهم حتى بلغ من جرأتها أنها كانت تفتك بالماشية في رابعة النهار مما لم يعتادوا حصوله واعتقدوا أن احدى القبائل المجاورة سحرتهم وجعلتهم نهباً للاسود . وقد

حاولوا التخلص من هذه السكواسر واجتهدوا أن يبيدوها فلم يفلحوا اذ هم اضعف كثيراً من قبائل (البشوانا) فاستولى عليهم الجبن ورجعوا الى دورهم دون ان يطاردوا واحداً من اعدائهم ومما لاريب فيه انه لو قتلوا واحداً منها لكان للبقية خير نذير ولتركت مواطن ابتليت فيها بالصيد

سطت الاسد من جديد على بهائم (البكويين) فخرجت مع رجال القبيلة مشجعا لهم على قطع دابر هذه الطغمة فوجدنا الآساد فوق أكمة مجللة بحرجة فالتف حولها الرجال وتسلقها الواحد بعد الآخر ومكثت في السهل مع أحد الوطنيين المدعو (ميبالويه) وكان معلما في كتاب وانبه من جميع اصحابه ذكاء ونشاطا . فرأيت أسداً جاثماً على ربوة وقد أحدق بها الصيادون . فصوب اليه (ميبالويه) رصاصة من بندقيته لم تصب الا الصخرة التي كان مقعيا عليها فعض المكان الذى أصابته الرصاصة من الصفاة كما يعض الكلب الحجر أو العصا التي يرمي بها ثم انطلق وثبا واخترق صف الصائدين الذين فتحوا له ممرا ويجادون ان يجرح . والغالب ان هؤلاء لم يقدموا على مهاجمته اعتقادا منهم بالسحر الذي ابتلوا به وزعما أنهم لا يظهرون على الاسد مهما بلغ جمعهم وبطشهم . ثم التأمت الحلقة وظهر ضيغمان آخران فلم استطع أن ارميهما خوفا من اصابة أحد الصيادين المحدقين بهما وفرا سالمين . ولو فعل (البكويون) كعادة بلادهم لقتلوا السباع طعناً بالرماح حينما اخترقت صفهم ولكنهم لم يستعملوا سلاحهم قط

ولما رأيت ان الهجوم غير متيسر لهم عولت على الرواح واتجهت صوب الطريق الموصلة الى القرية . وبينا أنا اطوف حول الاكمة رأيت أسداً آخر فوق صفاة كالاول مستتراً وراء خميلة ولا تزيد المسافة بيني وبينه عن ثلاثين خطوة فصوبت اليه بندقيتي واطلقت عليه رصاصتين فصاح الرجال: «لقد اصبت فيها بنا نحمل عليه» ثم لمحت الاسد يحرك ذنبه بغضب وحنق فالتفت الى الصائدين وطلبت منهم ان ينتظروني ريثما أحشو بندقيتي . وبينا انا أعدها اذ سمعت صراخ فزع فاقشعر جسمي وما كدت أرفع رأسي حتى رأيت الاسد واثبا علي وكنت واقفا فوق ربوة

فامسك بكتفي فتدهورت معه الى حضيض الاكمة وزأر في اذني بقوة مزعجة فكدت اصم وافقد صوابي لما اصابني من الرعب وصرت في قبضته كفأرة ظفر بها سنور ثم اصبحت في حالة خدر لا أشعر فيها لا بفزع ولا بألم ولو اني كنت واعيا لكل ماحدث وهذا اشبه بحالة المرضي وقت تأثير البنج اذ ينظرون تفاصيل العملية دون ان يشعروا بمشرط الجراح . وقد بددت رجات الضيغم مني الخوف واشلت كل عاطفة للفزع بينما الصيادون ينظرون الى الاسد وجها لوجه

وكان الاسد قابضا بيمينه على مؤخر راسي فاجتهدت ان اتخلص من ضغطه والتفت فرأيت الاسد ناظرا الى (ميبالويه) الذي صوب اليه بندقيته فلم تنطلق من الجهتين لانها كانت ذات زندوصوان فتركني الاسد في الحال وانقض على (ميبالويه) وعضه في فخذه . وكان بينهم شخص نجيته من الموت حينما قذفته في الهواء فحل من الجاموس فحاول هذا أن يطعن الاسد وهو جاثم على (ميبالويه) فخلاه وامسك بهذا الرجل من كتفه ولكن لم يلبث في الحال ان وقع مدرجا بدمائه من تأثير الرصاص الذى اخترم جسمه . حدث ذلك كله في لحظة قصيرة وبلغ الرئبال منتهى الغيظ والكلب والاستماتة حينما علم انه آخذ في النزع

وفي الغد احتفل البكويون باشعال نار عظيمة فوق جثة الاسد ذلك لانهم لم يروا له مثيلا في العظم كما قالوا واعتقادا منهم بانهم بعملهم هذا يبطلون السحر الذي انتابهم

وقد هشم هذا الغضنفر عظم عضدى وعضني احدى عشرة مره في ساعدى . والجراح التي تحدثها أنيابه أشبه بجراح الرصاص ويعقبها عادة قيح غزير وتميت جزأ عظيما من الانسجة . وقد قابلت في السنة التالية الرجل الذى عضه الاسد في كتفه فرأيت جرحه انفجر ثانيه في الشهر نفسه من العام التالى . وان هذا الحديث لجدير بأن يلتفت اليه رجال العلم

رحلة جول جيرار

اقتفيت أثر الاسد قبيل الغروب وبصحبتي حميد وعمر وأبو القاسم وكان

الاولون مسلحين (بقربانتين) والثالث يقود جدياً صغيراً كمنا فمه جيداً واتخذناه طعماً نجلب به السباع . وقد عاينت وأنا سائر مدخل الاسد الموصل الى عرينه واختبرت آثار أقدامه فسررت مما اكتشفته وبحثت عن مكان أمين اتخذه موصدا فوجدت موضعاً خاليا على مقربة من الربوة السكامن فيها الاسد

وقد ربطنا الجدى بجذع شجرة وتناولت سلاحي وماهي الالحظة حتى أقترب عمر منى فجأة وقد تشنج وجهه من الرعب وأشار بأصبعه الى رأس أسد صخم متكامل البدن قد لمحنا من مسافة مائة خطوة تقريبا فصرخت الاعراب ونزعت أنا كمامة الجدى وتربصت بالمكان الخالى من الغاب لا تمكن من رؤية الاسد حينما يأتي الى الجدى الذي حينما أبصر (القربانات) المصوبة لم يطمئن باله وأخذ يصيح بشدة ويحاول قطع الحبل وبعد بضع دقائق لمح الجدي على غرة الاسد في مربضه فارتجف كريشة في مهب الريح وأخذ ينظر الي من وقت لآخر كانه يتوسل بي لأحميه من شر الاسد . ولما ساد الرعب تبينت ان الاسد مقبل نحونا فنظرت من خلال الغاب المتكاثف المحيط بالمكان الخالي الذي كنت فيه فوجدت جسما ضخماً لا يتحرك ولم استطع ان أتحقق شكله اذ حالت دون ذلك الاوراق والغصون

وفي الحال تحركت الاشجار وخرج من مكمنه واثباً وثبتين أوصلتاه الى المكان الخالي من الغاب ثم وقف ينظر الينا

شتان بين جمال هذا الحيوان وبين جمال ما نشاهده في المسارح ا رأيته أملح وأعظم وأفخم حيوان مع اني رأيت كثيراً غيره وقد أشفقت عليه وأملت « قربانتى » بعد ما صوبتها الى ما بين عينيه . ثم تمدد الاسد على مهل فوق الكلأ منتظراً ساعة طعامه . فاسفت ان رأيته متحفزاً للوثوب على فريسته فصوبت الى كتفيه رصاصتين فوقع زائراً بصوت كالرعد وأخذ يعض في منحدر السيل ثم انقض دون ان يعلم أو يرى في السيل من علو عشرين قدماً

وعند ما سمع الاعراب صوت النار أتوا سراعاً وظنوا ان الدماء الغزيرة التى سالت من الاسد انتهت بقتله وصاحوا في الرجال المنتظرين بالقرب منهم : « هلم الينا بالبغال : »

وكان الموضع الذي ينبعث منه زئير الاسد كثيف النبت فلم استطع ان أرى جذوع الشجر على قيد خطوتين . وعند ما كنت أضع العلامات على مدخل السبع الدامي أقبل الصائدون ومعهم أربعة رجال مسلحين من أهل الجبل . وكان في عزمي ان اصبر للغد لاجد الاسد ميتاً او حياً واملت ان تقتله جراحه في الليل . وعلى كل حال اعتمدت على الدماء الغزيرة التي فقدها وهي كافية على الاقل لان تضعفه في اليوم التالي . وفي الختام تحققت انه من الحق ان اذهب الى الاسد بين هذه الآجام الكثيفة التي لايخترقها احد الانظار وافواها لاسيما عند اقبال الظلام. وضحت ذلك للاعراب ولكنهم لم يسمعوا النصح قائلين سنذهب وحدنا ونحن واثقين بموت الاسد . ولما لم أستطع أن أقنعهم ذهبت في مقدمتهم بعد ان اكدت لهم انهم واقعون لا محالة في سوء عنادهم . ثم صادفت (دو رودامبورج) وهو راجع من طوافه فرجوت منه ان يحمي ظهري ولا يفارقني . وحينما وصلنا الى مدخل مقر الاسدمرت رصاصة من خلفي مصوبة اليه فزأر وانقض علينا هاشما كل ما صادفه فقلت للاعراب « ارأيتم كيف هلك واود الآن مشاهدة قوة الرجال البواسل وجرأتهم » وما انتهيت من كلامي الا ورأيت الاسد واقفا بيننا .وعندما اردت ان أصوب رصاصة الى رأسه سبقني الاعراب وأعموني بدخان بارودهم ولم استطع ان انظر الاعمر وهو يطلق ناره فوثب عليه الاسد وكسر (قربانته) بانيابه وامسك به وطرحه أرضا كضغث من الهشيم

فاسرعت الى الاسد بقفزتين وكان لاهياً بتمزيق المسكين فلم يلتفت الي وأردت أن أخترم رأسه برصاصة ولكني خفت أن أصيب عمر فصوبت الى قلبه ورميته فترك فريسته ولم يقع فرميته بثانية فلم تنطلق الرصاصة . وكان لايفصلني عنه الا القربانة فطفق يقاوم بكل قوته ولما رأى الاعراب الخطر المحدق بي هبوا بجرأة عظيمة ولو أن أسلحتهم لم تكن محشوة والتفوا حولي . وكان حميد أقربهم الي فناولته (القربانة) وطلبت منه البندقية المحشوة التي عهدت بها اليه ليملحها لوقت الحاجة فوجدته قد كان أطلقها مع رفاقه فامسينا تحت رحمة الاسد . وكان

(دورودامبورج) على قيد بضع خطوات من المكان ولم يبق لي مدافع غير هذا الصديق فصوب الي الاسد ناراً حامية القته صريعا يتخبط فى دمه

لم يمت عمر المسكين ولكنه أصبح مخرم الجسم بجراح بالغة يكفى أحدها لقتله فحملناه على اللابس والعصي ومكث يعاني أشد الآلام ساعتين أمكننا بعدها ان نسعفه بضمد جراحه ومعالجته

وفى الغد ذهبت لانتزع جلد الاسد ثم عرجت على عمر وودعته وخلفته بين يدي طبيب من مواطنيه وعدت فى اليوم نفسه الى حديقة الانسود

وبعد الغد نحرت لبؤة قطيعا من الثيران فى مكان ليس ببعيد فشكا الناس وتضرعوا وما من مجيب فلم أر من المروءة ان أصم أذني عن استغاثتهم وخرجت في طلب اللبؤة وواجهتها في الساعة التاسعة مساء ولم يك بيني وبينها اكثر من عشر خطوات وقد حال الظلام وكثافة الادغال دون رؤيتها جيداً لاصيب منها مقتلا فصوبت الى كتفها لاعيقها عن لحاقي فهوت من أعالي الغاب صارخة بزئير مزعج فانسحبت بكل احتراس وتبصر ولم تسمع وقع أقدامي إذ غطى عليها زئيرها

وفي الغد عدت اليها فى اول النهار فوجدتها مكسورة الكتف مخرمة الصدر ولكنها كانت بحالة جيدة فاطلقت عليها الرصاص ولم تقع إلا وقتما أصابتها الثالثة

وحيث انتهت هذه المعركة رأيت ان ارجع الى قسطنطين ولم اكد أبلغها الا ووافاني نبأ موت عمر المقدام